

الصابئة

هم فرقة من اهل الاديان اختلف العلماء والمؤرخون في امرهم قال قوم هم من عباد الكواكب وقال آخرون هم فرقة بين النصارى والمجوس وهو احد اقوال اليعاقبي وقال الزمخشري هم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة وقيل غير ذلك مما يطول بيانه وكله من باب الظن لانهم يكتسبون دينهم اشد الكتمان ولا يرون دخول الناس فيه وانما هم على مذهب من قال جرى القلم واغلق الباب وقد اتى على هذا السرقون عديدة لم يهتك له ستر ولا استشف احد ما وراءه والناس فيه واقفون عند حد التكهن والظنون تطلع الى مكنون امرهم وتطال الى ما وراء ذلك الحجاب وهم لا يحصلون على طائل الى ان وفق الى كشفه احد مواطنينا الاعزاء وهو السيد نقولا السيوفي من حلة اهل دمشق حين كان وكيلاً لدولة فرنسا بالموصل وقد اقام هناك عدة سنين متوالية تسنى له في خلالها الوقوف على دحلة امرهم وتفاصيل مذهبهم وتاريخ نشأتهم فدوّن جميع ذلك في سفر فرنسوي العبارة يبلغ نحواً من ٢٠٠ صفحة طبع في مدينة باريز سنة ١٨٨٠. ولما كان كشف مثل هذا السر البعيد مما يهم المطالع الوقوف عليه آثرنا ان نلخص شيئاً من السفر المشار اليه ونشره بين ايدي قرآتنا الكرام فنقول

تعتقد الصابئة وجود عالمين في الارض احدهما العالم السري ويسمونه « مشوني كوشتو » وهو قطر فسيح اكبر من القطر الذي نسكنه نحن الآن مكانه مستور عنا وهو اشرف من عالمنا المنظور بحيث يعد منه بمنزلة اليمن من اليسار. وسكان هذا العالم جميعهم من الصابئة وهم بشر مثلاً الا انهم منزهون عن كل وصمة ولذلك ينتقلون بعد موتهم الى عالم الأنوار الذي يسمونه « عولي

دونهورو، وهو مقام التعيم من غير أن يروا بموضع من مواضع العذاب. والعالم الثاني هو عالمنا هذا ويسمونه «أوردو تيول» أي الأرض المشتراة وهو في موضع دون العالم الاول

ولكل من هذين العالمين آدم مخصوص ويقال لآدم العالم السري «آدم كاسيا» أي آدم غير المنظور وتسمى زوجته «كانونا» أي تامة الجمال. وآدم الآخر الذي هو ابو سلالتنا يقال له «آدم جاورو قدمويو» أي آدم الرجل الاول وزوجه تسمى «حوآ».

وكان لكل من هذين الآدميين بنتٌ فجمع بينهما «هيول زيرو» في العالم المنظور وأزوج كلًّا منهما من ابنة الآخر ثم ردَّ آدم غير المنظور الى العالم السري حيث كان قبل ذلك. والصابئة يزعمون تبعًا لما في كتبهم انهم من ابنة آدم غير المنظور وابنة آدم المنظور الا ان علماءهم يخالفونهم في ذلك لانهم يستبعدون الخروج من العالم السري الى العالم المنظور ومع ان هذه المسئلة غير قائمة عندهم في مقام القطع فهم اليوم يقولون بقول علماءهم أي انهم من سلالة آدم المنظور

اما تسميتهم بالصابئة فيقولون انه اسمٌ ساهم به من يجاورهم من النصارى والمسلمين وهم يسمون انفسهم «المندايا» أي الاقدمين
اما دين الصابئة فيزعمون انهم على دين نبيهم يحيى وهو يوحنا المعمدان

١ ان كانت هذه التسمية عربية فاشتقاقها من صبا اذا خرج من دين الى اخر قيل سنوا بذلك لانهم عدلوا عن دين النصارى واليهود على ما تقدم قريبا. وزعم ليراي انهم سموا كذلك نسبة الى صبا وهي مدينة مأرب باليمن وانما اختلط عليه لفظ الصابئين بالسبيئيين وهم الوارد ذكرهم في نبوة اشعيا (٤٥ : ١٤) ومواضع اخر من التاريخ القديم وشتان بين اللفظين

وهو عندهم فوق عيسى منزلة ومولده غير طيعي . وعندهم عدة كتب منزلة منها ما أنزل عليهم من عالم الانوار (عولي دونهورو) واشرف هذه الكتب كتاب يسمى « دروشاديجيا » اي اقوال ييجي وهو يتضمن سيرة حياة ييجي وبعض السنن الدينية من نحو المعمودية وخطباً تعليمية فيما يتعلق بخلاص النفس والسعادة الآخروية

اما مولد ييجي فهو قريب مما ورد حديثه في الانجيل قالوا وكانت الصابئة عند مولده قد اقهرت من العالم بته لان اساقفهم وكهنتهم كانوا قد ماتوا كلهم فبقوا من غير هادٍ ثم اخططوا ببعض طوائف اليهود من غير اهل الحثان فاشربوا عقائدهم ومنذ ذاك اقطع الوفد عن عالم الانوار وهو دار النعيم فاستوحش اهله ورفضوا امرهم بالتشكي الى « مورودربوتو » فاستحضر لوقته « مندودايي » احد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين وامره بتدارك هذه الثلثة فجاء باناء فيه ماء وتلا عليه كلمات سرية ودفعه الى واحد من الملائكة وامره ان ينطلق الى « اينوشوي » وهي ام ييجي ويتلطف في الاحتيال بحيث تشرب منه دون ان تعلم ما فيه فارتسم الملك امره وهبط الى اينوشوي وجعل الاناء بين يديها وادركتها عطشة فاعترفت من ذلك الماء في حفتها وشربت منه فحملت لوقتها . ولما كانت الليلة التالية رأى احد اليهود في حلمه ان اينوشوي قد حملت وان الولد الذي ستضعه سيكون زعيماً على الأمة ويدين اليهود لامره وانه سيعتدهم ويستقيم ماء « المبهوها » وهو الماء الذي يسقيه كاهن الصابئة لكل معتمد . فلما اصبح اليهودي صار الى العازار رئيس ملته وقص عليه حلمه فانطلق العازار حتى لقي ابوصادا وهو زوج اينوشوي وأعلمه ان زوجه حامل فانكر ابوصادا ذلك وقال كيف يكون هذا وزوجي عجوز كبيرة ولم تحمل قط منذ كنا معاً . فحشد

المازار اعيان اليهود وقصّ عليهم الامر فاخذوا قصص الحلم وانفذوا به الى معبر
للأحلام مشهور بالحذق والاصابة فكان تعبده مطابقاً لتعبيرهم فعزّوا على ان
يتربصوا باينوشوي ان تضع جنينها فيقتلوه عند ولاده . ولما جن الظلام قدم
ابوصادا على المازار ليفاوضه في الامر فرأى المازار ابوصادا داخلاً وبين يديه
قَبَسَان من نور ساطع ووراءه مثلها فقال المازار ما هذه المصاييح الاربعة التي
حولك فقال لا ادري انما هي المرة الاولى التي ارى فيها ذلك وأجهل من
أين جاءتني هذه الانوار وكانت مصاحبة له طول التسعة الاشر التي كانت
امراته فيها حلي

وبعد أن اتى على اينوشوي تسعة اشهر وتسعة ايام وتسع ساعات وتسع
دقائق من حين الحبل اخذتها اوجاع الطلق فاجتمعت حولها نساء اليهود بالامر
السري الذي تلقينه من قبل الرؤساء ليقتلن الطفل عند مولده . الا انه لم
يتم لمن ذلك لان « زهرنيل لالاتو » وهو روح موكل بالمواليد وهو الذي يدير
رأس الجنين من فوق الى اسفل قبل الولادة اخذ الولد بأن اخرجه من فم
أمه وجعله بين ايدي الملائكة فاخذوه الى عالم النور الذي هو الفردوس
وهناك شجرة تسمى « محزون » على اغصانها ثدي كثيرة حافلة باللبن اذا مات
احد الصابئة طفلاً بعد المعمودية وقبل ان يستوفي رضاعه جعل عليها فوضع من
تلك الثدي . فنشأ هذا الغلام الذي هو يحيى في الفردوس واعتمد هناك باسم
« إلهامو وورو دُربوتو ومنوداي » وهذا الاخير هو ابوه الذي تلا الكلمات
السرية على الماء الذي سقته امه على ما تقدم حديث ذلك ولذا كان يحيى

١ وكذلك يقولون في جبل مريم ببيسى زعموا ان الله اراد ان يميز يحيى وعيسى
عن سائر البشر فجعل مدتهما في البطن زيادة على تسعة اشهر

في زعمهم يعمد باسم هؤلاء الثلاثة

ولما حان انفاذه 'لإمضاء الرسالة في العالم السفلي' وسن الشريعة الصابئة
تلا عليهم اهل العالم السعيد كلمات سرية صار بها متمماً على النار والماء والسلاح
وسائر انواع الآفات وطموه 'كلمات' أخر اذا نطق بها ادرك ما شاء وفعل كل
ما اراد ثم سلموه الى عهدة واحد من الثلاث مئة الستين يقال له 'انوش
اوثرو' وأمره ان يصحبه الى العالم السفلي فركبا زورقاً من الذهب وهبطا
الفرات قاصدين اورشليم حيث كانت عشيرة يحيى والصابئة تزعم ان الفرات كان
في الزمن الاول يجري الى اورشليم وانه 'ينبط من تحت عرش' 'أواثار'
وهو مالك يوم الدين وعرشه 'تحت نجم القطب

وفيا كان يحيى راكباً الفرات صادف خادمة بيت ابيه على احدى ضفتيه
وقد جاءت تستقي فرفها وجعلت هي تتأمله لانها وجدت فيه ملامح من
عشيرته فرف يحيى ما يتحاج في صدرها فقال لها هلي الى المدينة واستخبري
عن عترة اضاعت طفلاً فصدت الجارية لساعتها وأخبرت مولاتها بما كان فقال
اني رأيت فتى اجمل من البدر ليلة ثمة واعادت عليها قوله ووصفت لها ما بينه
وبين موالها من المشابهة فوقع هذا النبا من اينوشوي موقفاً ادهشها فرحاً
فنهضت لساعتها وبادرت عدواً للقتاه وقد ذهات عن ان تقع على ما جرت
به العادة عندهم فلما رآها بعابها خارجة كذلك استشاط من الغضب وهم بطلاقها
فلم يشعر الا بصحيفة قد سقطت بين يديه فتناولها فاذا فيها هذه الكلمات اياك
وان تسوء امراتك بأمر ولكن هلم في اثرها فانها ذاهبة للقاء يحيى فنهض وتبعها
ولبث اينوشوي سائرة حتى ابصرت ولدها في الزورق فألقت بنفسها على عنقه
واحتضنته قبل رأسها

وبعد ان وصل به انوش اوثرو الى اورشليم وكل بحفظه الشمس والقمر
على انها مسؤولان عن كل اذى يلحقه واقلب عائدا الى عالم الانوار . واقام
يحجي باورشليم يمد ويصنع الآيات فشفي ذوي الزمانات وأبرأ العميان وأقام
المقعدين وكان يضرب الواحد منهم بصولجانه فينهض قائما وشفي كل ذي
مرض بنضح الماء فلم يؤمن اليهود به وأحرقوا عليه منزله إلا أن النار كانت
عليه بردا وسلاما فضربوه بأسلحتهم فلم تعمل فيه فلما رأوا ذلك آمنوا برسالة ما
خلا العازار وأشياعه واعترفوا به زعياً عليهم وهم لا يبرحون في طاعة خلفائه
من الاساقف والكهنة الى يومنا هذا

وبعد أن قرّر شرائع دعوتهم بينهم خرج الى عدوة الأردن فعد هناك
« ايشوشيجو » اي عيسى المسيح ابن خالته وغاص بعد ذلك في الصلوات يصل
فيها ليله بنهاره وكان اول مسئلة ابتهل بها الى الله ان يصونه من حائل
النساء لعله بما كان عليه من محاسن الخلق وجمال الصورة فكان على الدوام
يخاف فتنهن وقضى حياته مبتلا واقصى به سائر اتباعه من الصابئة فكان
أكثرهم يقضون دهرهم أعزابا

ولبت الصابئة على ذلك زمنا مديدا يمتنعون من الزواج قتل بسبب ذلك
عديد الانفس الواردة منهم الى الفردوس فساء ذلك سكان الفردوس فعملوا
برسالة الى يحجي يذكرون له ما نشأ عن الاقدياء بسيرته من العواقب السيئة
في امر التبتل وقالوا له انك بتبتلك ستفني بالصابئة الى الفناء والاضحلال
وبئامنا الى الوحشة والخلاء فحفف عليك من صلواتك وارفق بنفسك واتخذ
لك امرأة تقضي معها بعضا من ساعاتك فعمل ومذ ذاك عادت الصابئة الى
الزواج واخذ كهنتهم ايضا يتزوجون

ولما قضى يحيى رسالته وكانت مدتها اربعاً واربعين سنة احسن بدنو اجله
فدعا زوجه وجرى بينهما الحديث الآتي

قال يحيى اذا ماتت فما انت صانعة من بعدي
قالت اقطع عن الطعام والشراب تحيلاً لأجلي حتى اذهب وأنضم اليك
قال يحيى بل ستأكلين وتشربين ثم لا تخطيني بيا لك
قالت سأعزل الفسل ولا اضفر شعري ما بقيت حتى اذهب وأنضم اليك
قال يحيى انك لن تمضي ما قولين بل ستغسلين وتضفرين شعرك
وأصير عندك نسياً منسياً

قالت سأقطع في خباتي لأرى انسيا الى ان اموت وأنضم اليك
قال يحيى بل ستفادين لإلحاح ذوي القرابة والأصدقاء فيخرجونك
من خباتك وتسليني

قالت وماذا عساني ان ازيد على ذلك
قال كل ما تكلمت به انما هو خفة ورعونة وآي لا يجديني قليلاً لكن اذا
مئت فخير ما تصنعين ان تبتهلي في راحة نفسي وتذبحي الغنم وتدعي الاساقف
والكهنة فيصلوا علي وانت فابقي على بشاشتك واطلقي صوتك علي بالفرح لا بالويل
ولا تنسيني . اه

ولذا فان الصابئة الى اليوم يكونون في يوم المائتم أفرح من يوم الزفاف
والتعزّن محرّم عليهم ويقولون ان كل دمة على الميت تصير نهراً كبيراً في
طريق نفسه تكاد تعجز عن قطعه . على انهم كثيراً ما يتساعون في هذه السنة
الا اذا كان المتوفى اسقفاً او كاهناً فلا يجوز لنسائه ان يجربن عليه دمة البتة
ولما اتم يحيى كلامه مع امراته حضره مندوداي ابوه الالهي فتمثل له

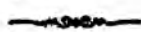
بصورة فتى يسأله المعمودية فواعده يحيى الى القدر . ولما كان من الليل عاوده
 الفتى وهو يصلي فظن انه يريد ان يتعلم منه الصلاة فضى على صلاته فتناول
 الفتى النعاس بيديه وقذف به على يحيى فنام قبل ان يتم صلاته ثم تضرع الى
 الله ان يجعل ذلك الليل ثلثاً اي ان لا يزيد على اربع ساعات فاستجاب الله
 دعاه وبعد اربع ساعات من مغيب الشمس عادت فاشرفت فهب يحيى على
 عادته وانطلق ناحية النهر فاغتسل ثم قام يصلي . ولما فرغ من صلاته حضره
 الفتى وسأله ان يعنده فترجل يحيى في النهر وأمره باتباعه فلما صارا في الماء
 ارفع الماء فوق عادته حتى غمر منكبي يحيى فتراجع الى البر فأسر الفتى الى
 المياه ان تتراجع فرجت وبقي يحيى على اليس فعاد الى الماء وأمر الفتى باتباعه
 فلما دنوا من الماء عاد فارفع فتراجع يحيى الى الورا وتكرر ذلك ثلاث مرات
 وفي الرابعة لم يرفع الماء لان مندوداي امره سراً بالوقوف . وبيناهما في الماء اذا
 السمك كله قد ظهر بلون ابيض ناصع واجتمع حولهما وهتف بصوت واحد تبارك
 اسمك يا مندوداي وللحال اجتمع طير السماء عند رأس الفتى وهتف بالكلام
 نفسه وكان يحيى قد أوتي ان يفهم لسان الاسماك والطيور ففهم ما قلن ولما سمع
 اخذ بطرف النصف الذي كان على مندوداي وقبته قائلاً انت مندوداي .
 وعند ذلك خلع الفتى جثائه البشري وظهر ليحيى بمظهره السماوي مخفوقاً بالجلال
 والبهاء فاخذ يحيى يده فزجره وقال لا تمس يدي فانك حالما تمسها يفارق
 روحك جسدك فقال يحيى هذا ما اتمناه فاني اود ان اموت لأفزي الى عالم
 الأنوار في صحبتك ولا انطلق اليه في صحبة سورينيل وهو ملك الموت عندهم
 فشد ذلك خرجا كلاهما من النهر ولما صارا على الضفة اعطى مندوداي
 يده ليحيى فسقط جسده للحال ميتاً ورجلاه في الماء وسائر جسده خارجه

ولحقت نفسه بمندوداي . وبينما هما منطلقان في العنان التفت روح يحيى الى الارض فعابن جثته ياكلها السمك من جانب والطير من جانب آخر فلما رأى ذلك تنهد فقال له مندوداي ما بالك تنهد أملك آسف على الحياة التي فارقتها فقال يحيى نقّس اسمك اني اتنهد لاني خلفت ورآني صغارا لم أتم كمالهم وانما قال ذلك لانه كره ان يروح له يياطن به فقال ليس هذا ما يحزنك انما حزنت لما رأيت من حال جثتك فلتكن مطمئنا اني ساجعها في حرز مما ساءك ثم تناول قبضتين من التراب فثامها فوق الجثة فكانتا قبراً لها ومذ ذاك صار الصابئة يدفنون موتاهم وكانوا منذ عهد آدم الى ذلك اليوم لا يعرفون الدفن ومضيا في طريقهما حتى انتبيا الى « نهر دكشوش » وهو النهر الحائل بين « مَروُوثوس » وعالم الانوار لا تصل نفس الى مقبل سعادتها الا باجتيازه فجاءها زورق فركاء وعبرا النهر ودخلا من هناك عالم النور حيث استقر يحيى في مقام كريم في قصر مندوداي ايه السماوي . اه

هذا مجمل ما جاء في امر هذه الطائفة اقتصرنا فيه على بيان نشأتها وأصل معتقدها وبقي القول في تفاصيل مذهبها وقواعد دينها وهو امر يطول شرحه ولا يتسع له هذا المقام ولذلك تجاوزناه الى موعدي آخر ان شاء الله



من كلام الشاطبي اشتغالك بوقت لم يأت تضييع للوقت الذي انت فيه



قيل لبشر الحافي بأي شيء تأكل الخبز فقال أذكر العافية فأجعلها اداما



(في الحديث) انصر اخاك ظالما او مظلوما . قيل كيف ينصره ظالما فقال

(الكشكول)

صلى الله عليه وسلم يمنع من الظلم